

في الأدب العربي

للأستاذ عبد اللطيف محمد ثابت

—>>><<<—

في عدد مضى من الثقافة كلمة للأستاذ الكبير أحمد بك أمين
يميب فيها على كثير من الأدباء ميلهم إلى قصر الأدب على الشعر
والنثر الفني المصنوع ، وبحسنا أن نعيد النظر في هذا الوضع من
ناحية الأدب القديم والحديث ؛ فن ناحية القديم يجب أن توسع
في فهم معنى الأدب ، فندخل فيه الشعر الصوفي والنثر الصوفي ،
والأساليب المتبعة في شرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية إذا
كانت أدبية ، وكذلك الأساليب المتبعة في كتب التاريخ والرحلات
والنفسية والقصص من نوع ألف ليلة وليلة . ومن ناحية الحديث
يجب أن يتجه أدباؤنا إلى الموضوع أكثر من الشكل ، وحمد الله
إذ رأى هذا الاتجاه واضحاً جلياً من أدباء العصر الحديث ، وضرب
لذلك الأمثلة ، ثم قال : « ففهمنا للأدب على أنه شعر أو تزيينه
الشعر أو قصة بديعة ، أو نحو ذلك ، فهم قاصر ، والأدب أوسع
من ذلك وأشمل » ، وقال : « وأرى أن هذه الفكرة عن الأدب
غير صحيحة ، وأنها ضارة بالناشئين والتعلمين ؛ إذ تجعلهم يتصورون
الأدب على أنه حلية لفظية شكلية ، فإذا عمق الكاتب وفكر
تفكيراً دقيقاً ، خرج عن الأدب ولم يسم أدبياً ، وضرر هذا
واضح ، وهو اتجاه الأدب العربي إلى السطحية ، والعناية فيه
بالشكل أكثر من الموضوع »

هذا يحمل ما قاله أستاذنا الكبير ، ولا أدري إلى أي شيء
يرى . إنه عاب على الأدباء قصرهم الأدب على الشعر والنثر المشبه
الشعر والقصة البديعة ونحو هذا ، لأنه أوسع من ذلك وأشمل ،
فإذا بقي بعد هذا مما يصح أن يكون في متناول أوسع وأشمل ؛
حتى ندخله في الأدب ؟

إن الشعر هو الكلام ذو الوزن والقافية المشتمل على التصوير
البديع المؤثر لأنواع الإحساس ، سواء أكان إحساساً صوفياً أم
فلسفياً أم خيالياً من واد آخر غيرها . والنثر المشبه للشعر هو
ذلك النثر الفني المصنوع ، ويراد بالصنعة ما يرتفع بالنثر إلى ما يحقق
معنى الفساحة والبلاغة على ما اتفق عليه الأقدمون ، ولم يمارض

فيه المحدثون ، سواء أتناول النثر شرحاً لنظريات اجتماعية أم
اقتصادية ، أم تناول التاريخ والرحلات ، أم تناول الفلسفة ، أم
كان قصصاً ، بل يمكن أن يدخل في متناول النثر الفني المصنوع
بهذا المراد من الفن والصنعة طوائف العلوم الأخرى ، فكلها نثر
فيه فن وفيه صنعة بحسبه ، فإذا بقي بعد ذلك حتى يكون فهمنا
للأدب على أنه الشعر أو النثر المشبه للشعر أو القصة البديعة أو
نحو ذلك فهماً قاصراً ؟

لم يبق يا سيدي البك إلا الكلام الذي اتضع ولم تتحقق
فيه شروط الفساحة والبلاغة ، فسار بحكم ما فقد من شروط
الأدب غير أدب ، وصار الكاتب له غير أدب .
فهل تريد أن يدخل مثل هذا على أنه أمثلة تحتذى في مباحث
الأدب ؟ فإذا يكون الأدب إذن ؟

إن الأدب فن رفيع كالوسيقى وما يشبهها ؛ فلنتصور أننا
توسعنا في متناول الموسيقى حتى جعلناها تشمل كل ما يمكن أن
يكون صوتاً ، فهل يكون ذلك مقبولا ؟

كذلك الأدب لا يمكن أن يكون أدباً إذا توسعنا فيه فجعلناه
يشمل كل ما يمكن أن يقال أو يكتب ، فإن ذلك تضييع لقيمة
المثل العليا من الكلام ، وتضييع للمعزين من الكتاب من القدماء
والحديثين ، مع ملاحظة أنه لا يعقل أن يكون كلام مكتوب
لا موضوع له إلا ما يصدر من المجانين ؛ فأولئك الكتاب الذين
يجاسون بجانب كل محكمة ، ويسمون بالكتاب العموميين ، لهم
موضوعاتهم التي يتناولونها فيها يكتبون ، وليس من العقول أن
تكون رسائلهم من مباحث الأدب . ولست أعلم أن أحداً من
التقدميين منع أن يكون الشعر الصوفي والنثر الصوفي ، والكتب
التي تشرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية والتي تتناول التاريخ
والرحلات والقصص من نوع ألف ليلة وليلة والفلسفة — منع
أن تكون هذه مما يتضمنه معنى الأدب حتى ينهنا الأستاذ الكبير
إلى أن نعيد النظر في هذا الوضع من ناحية الأدب القديم فندخل
فيه هذه الموضوعات .

ويقول الأستاذ إن هذه الفكرة عن الأدب أنه مقصور على
الشعر والنثر الفني المصنوع ضارة بالناشئين والتعلمين ، ويقصد من
غير شك الناشئين والتعلمين في هذا العصر ، فهو يخشى عليهم أن